

## ولا يخذله

الشيخ محمد صالح المنجد

### عناصر الخطبة:

1. مراعاة المشاعر من القيم التي حثت الشريعة عليها.
2. يوسف عليه السلام يراعي مشاعر أخوته.
3. من نصوص الشريعة في الحث على هذه الخصلة.
4. مراعاة المقامات والأحوال من الدين حتى حال الإنكار.
5. مراعاة مشاعر أصحاب العاهات.
6. الهادي الأعظم يراعي المشاعر.
7. مشاعر لا بد أن تراعى.
8. ملاحظة أحوال الناس في تطبيق السنن.

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

### مراعاة المشاعر من القيم التي حثت الشريعة عليها

#### عباد الله

لقد شرع الله لنا ديناً قيماً، قيماً في العقيدة؛ عقيدة التوحيد، وفي العبادة التي نعبد الله -تعالى- بها، وفي المعاملات والأخلاق التي يخالف بها بعضنا بعضاً. وتجد نصوص القرآن والسنة متضافرة في الأمر بالتلطف وحسن المعاملة ولين الجانب للآخرين، يقول سبحانه آمراً عباده بانتقاء الألفاظ عند الكلام مع الناس: **{ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا }** (البقرة: من الآية 83) وفي موضع آخر يحثهم -سبحانه- على اختيار الأحسن من الكلام فيقول: **{ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }** فلم يأمر بالحسن فقط، وإنما قال الأحسن، وهي مرتبة أسمى من الحسن، وهذا الأمر بالإحسان في المعاملة يشمل الأقوال والأفعال، ولا يختلف اثنان في أثر هذه المعاملة الحميدة على الآخرين، فهي تجمع القلوب على الإنسان، وتجذب إليه النفوس. ومما جاء به الشرع الحنيف من تلك القيم السامية: مراعاة المشاعر والخواطر عندما تتعلق المعاملة مع الآخرين،

## يوسف عليه السلام يراعي مشاعر أخوته

ويضرب القرآن نموذجاً لنبي من أنبياء الله راعى هذا الخلق الرفيع مع أخوته في حديثه وكلامه، هو يوسف عليه السلام، فلما جاءه إخوته بعد أن ولاه الله -تعالى- الأمور، وصاروا في قبضته وبين يديه، وجلب أبويه إليه، قال: **{أَخْرَجَنِي مِنَ السَّجْنِ}** [يوسف: من الآية100] ولم يقل: من الجب؛ لئلا يخرج إخوته الذين ألقوه فيه، مع أن إلقاءه في الجب أخطر من وضعه في السجن؛ وذلك لأن الإلقاء في الجب تعريض للموت والهلاك. وقال: **{مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي}** [يوسف: من الآية100] ولم يقل: من بعد أن فعلوا بي كذا وكذا، فألقى الملامة على الشيطان ونسبها إليه، ولم ينسبها لإخوته، وإن كانوا هم من باشر ذلك الأمر؛ كل ذلك مراعاة لهم. وقال: **{وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ}** [يوسف: من الآية100] يعني: من البادية، ولم يقل: وجاء بكم من الجاعة والنصب ونحو ذلك؛ لئلا يظهر منته عليهم في وجوههم، وكل ذلك من أخلاق الأنبياء في انتقاء الكلام، فهي ثمرات وأطياب تنتقى.

## من نصوص الشريعة في الحث على هذه الخصلة

والشريعة لم تخلو من الحث على هذه الخصلة في مواقف كثيرة إما بالقول أو الفعل، فمن ذلك: أن الشرع قد نهانا أن يتناجى اثنان دون الثالث، كما ثبت عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- قوله: **((إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث؛ من أجل أن ذلك يجزئه))** [رواه البخاري برقم (5816)، ومسلم برقم (4053)] فقد يظن أنهم يتآمران عليه، أو يكون في هذا شيء من الاحتقار له كونه دون مستوى الكلام؛ ولذلك لم يشركانه فيه ونحو هذا، وهذا الحكم يشمل خمسة دون السادس، وتسعة دون العاشر، بل كلما زاد عدد المنفردين بالكلام عن واحد في المجلس كان ذلك أشد في الحكم والإيذاء وبالتالي النهي، ويدخل في هذا أن يتكلم اثنان بلغة أجنبية لا يفهمها الثالث، وليس في المجلس أحد آخر، فهذا في حكم التناجى وهو من الشيطان **{لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا}** (المجادلة: من الآية10)، فمراعاة لشعور هذا الثالث لا يتناجى اثنان دونه.

وهكذا جاء النهي عن إقامة الرجل للرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، كما جاء من حديث ابن عمر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **((لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، ثم يجلس فيه))** [رواه البخاري برقم (5798)، ومسلم بلفظ: **((لا يقيمن أحدكم الرجل...))** برقم (4043)؛ مراعاة لشعور من سبق إلى المكان، لكونه صاحب حق بسبقه، ولذلك فإن في إقامته إيذاء، وهذا يشمل إن قام من مكانه لحاجة يسيرة كما إذا ترك مكانه مثلاً يوم الجمعة ليتوضأ أو ليقضي غرضاً يسيراً فإنه لا يجوز أخذ مكانه، فإن طال الغياب سقط الحق، والسابق بعد ذلك إلى المكان أحق به، والمشروع في مثل هذه الحالة التفاسح في المجلس أو المكان عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: **((ولكن أفسحوا))** [رواه أحمد برقم: (8108)، قال الأرئوط: إسناده حسن].

وأيضاً: فقد جاء النهي عن الدخول بين اثنين إلا بإذنهما قال صلى الله عليه وسلم: **((لا يحل للرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما))** [رواه الترمذي برقم (2676)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (7656)؛ مراعاة لمشاعرهما فقد يكون بينهما من الخصوصية ما يؤذيها إذا دخل أحد بينهما.

## عباد الله

إن إكرام ذي الشبهة المسلم من الإسلام، وفي هذا مراعاة لمشاعر هذا المسن، وأن ضعفه مجبور من إخوانه بتوقيره واحترامه ممن هو دونه، قال صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا)) [رواه الترمذي برقم (1842)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (5445)]، ومن مظاهر هذا التوقير ما ورد في السنة: ((كبر، كبر)) [رواه البخاري برقم (2937)، ومسلم برقم (3160)] ففي الكلام يقدم الكبير، وفي المناولة يقدم الكبير، وهكذا، ولذلك إذا استوت المزايا بين المتقدمين للإمامة، فإنهم في النهاية يلجؤون إلى فاصل السن: ((فأكبرهم سنًا)) [رواه الترمذي برقم (218)، وصححه الألباني في سنن الترمذي برقم (235)].

## عباد الله

جاء رجل من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بصيد صاده له، والنبي عليه الصلاة والسلام محرم، فلم يأخذه منه وردة عليه، فوجد الرجل في نفسه، فقال عليه الصلاة والسلام: ((إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم)) [رواه البخاري برقم (2937)، ومسلم برقم (3160)]، فالحرم لا يجوز له أن يصيد، ولا يجوز له أن يأكل ما صيد لأجله.

فالشاهد من القصة: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما رد الهدية ولم يكن من عاداته ردها، بين السبب؛ كل ذلك جبراً لنفسية الشخص، ومراعاة لشعوره.

## مراعاة المقامات والأحوال من الدين حتى حال الإنكار

مراعاة المقامات والأحوال من الدين، ومن هذا الباب: {فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا} [الأحزاب: من الآية 53]؛ حتى لا يؤدي أصحاب البيت بطول مكث الضيوف عندهم، وهذا الآية نزلت في بناء النبي -صلى الله عليه وسلم- بزینب، وذلك أنه لما أطمعهم جلس بعض القوم بعد العشاء، فتهياً النبي -صلى الله عليه وسلم- للقيام؛ ليشعرهم بإرادته مغادرتهم، فلم يفتنوا ولم يقوموا، فتهياً للقيام مرة أخرى فلم يفتنوا ولم يقوموا، فترل قول الله -عز وجل-: {إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [الأحزاب: من الآية 53]. ومن مراعاة حال صاحب المنزل ومقامه أن الإنسان لا يتصدر في مجلسه إلا بإذنه، ولا يتقدمه في الإمامة أيضاً إلا بإذنه كما قال عليه الصلاة والسلام: ((لا يقعد على تكريمته إلا بإذنه، ولا يؤم الرجل في سلطانه إلا بإذنه)) [رواه مسلم برقم (1078)]، فهو الذي يكون إماماً إذا كان أهلاً للإمامة، ولو كان بعض الزوار أفضل أو أحفظ إلا إذا أذن لهم.

وكذلك فقد جاء في حق الضيافة أنها ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فهو صدقة، قال في الحديث: ((ولا يجلب له أن يثوي عنده حتى يجره)) [رواه البخاري برقم (5670)]، فلا يجوز أن يبقى بعد الثلاثة ويضيق على أخيه.

ونجد أن هذه المراعاة للنفوس حتى في حال إنكار المنكر، كما إذا كان الرجل من أهل الجفاء والجهل فإنه يراعى في حال نصحه جهله، ولكن لا يترك تعليمه، فلما جاء ذلك الأعرابي فبال في طرف المسجد، فقام الصحابة يوجئونه أمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بتركه، ماذا قال له بعد ذلك؟: ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء

من هذا البول ولا القدر، وإنما هي لذكر الله -عز وجل-، والصلاة، وقراءة القرآن)) [رواه مسلم برقم (429)]، لما فقه الأعرابي بعد ذلك وتعلم، وجلس بين الصحابة وروى القصة قال في القصة: "فلم يؤنب ولم يسب" [رواه ابن ماجه برقم (522)، قال الألباني: حسن صحيح] الأمر في الظاهر منكر عظيم، لكنه عليه الصلاة والسلام لم يترك المنكر، بل تعامل معه بالحكمة فوعظ الرجل وعلمه ونهيه بالأسلوب المناسب له، ولك أن تتصور لو هاجم الصحابة هذا الأعرابي حال بوله، لأدى ذلك إلى منكر أكبر، بانتشار البول في مكان أوسع إذا هرب وترك مكانه، فالمقصود أن المنكر لا يترك، ولكن يعالج بالأسلوب الأمثل الذي لا يؤدي إلى إحداث منكر أكبر منه. ومن اللطائف التي كانت لسلفنا في مراعاة الناس عندما يتركون أمراً واجباً أو مستحباً: أن رجلاً عطس في مجلس ابن المبارك -رحمه الله-، وابن المبارك من أئمة العلم والزهد والفقهاء والجهاد والصدقات والفقهاء، فلم يحمده الله، فقال له عبد الله بن المبارك: ماذا يقول الرجل إذا عطس؟. فقال: الحمد لله. قال: يرحمك الله [حلية الأولياء (170/8)].

### مراعاة مشاعر أصحاب العاهات

ومن هذا الصدد مراعاة أصحاب العاهات والعلل والأمراض، فقد جاء النهي عن إحداث النظر إلى أصحاب العلة قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تديموا النظر إلى المجذومين)) [رواه ابن ماجه برقم (3533)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (7269)] مراعاة لحاله ونفسيته فقد يتأذى من إحداث النظر إليه، فينبغي صرف النظر وعدم تكراره، وعندما شرح العلماء الذكر الذي يقال في رؤية المبتلى: ((الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً)) [رواه الترمذي برقم (3354)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (555)] قالوا: إنه لا يجهر به، ويخفيه عن المبتلى؛ لتلا يتأذى من ذلك، وذكروا حالة يجهر فيها وهو: إذا مر بمبتلى في الدين -مجاهر بالمعصية-، فإنه يجهر به أمامه؛ زجراً له وردعاً وتأثيراً.

وقد فحانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الضحك مما يخرج من الإنسان، يعني: من هذه الريح، وأرشد من حدث له في صلاته شيء أن يأخذ بأنفه ثم لينصرف، جاء في الحديث: ((إذا أحدث أحدكم في صلاته فليأخذ بأنفه، ثم لينصرف)) [رواه أبو داود برقم (940)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (286)]؛ كل ذلك مراعاة للنفوس.

### الهادي الأعظم يراعي المشاعر

ومن عجائب المراعاة للأطفال ونفسياتهم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سجد مرة في الصلاة سجدة أطال فيها، فقلق بعض الصحابة فرفع رأسه فإذا النبي -صلى الله عليه وسلم- ساجد وفوقه حفيده، فلما انصرفوا من الصلاة قال بعض الصحابة للنبي -صلى الله عليه وسلم-: حدث شيء، أوحى إليك، قال: ((كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله؛ حتى يقضي حاجته)) [رواه النسائي برقم (1129)، وصححه الألباني]، وتتعدى مراعاته لمشاعر الطفل إلى أمه أيضاً وذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: ((إني لأدخل في الصلاة وأريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه عليه)) [رواه البخاري برقم (668)، ومسلم برقم (723)]، فهو يريد أن يطيل الصلاة، فيسمع صراخ طفل باكياً، فيقصّر النبي -صلى الله

عليه وسلم- من صلاته؛ مما يعلم من وجد أمه عليه، وعاطفتها، ورحمتها له، وهذا من مراعاته عليه الصلاة والسلام للأُم وطفلها.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا في شريعتك من المتفقيين، وبسنة نبيك من الآخذين، أحينا عليها يا أرحم الراحمين، وأمتنا عليها يا رب العالمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظمته، وأشهد أن لا إله إلا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله، وذريته الطيبين، وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أشهد أنه رسول الله حقاً، والداعي إلى سبيله صدقاً، فصلوات الله عليه وسلامه التامين الأكملين.. أما بعد:

### مشاعر لا بد أن تراعى

#### عباد الله

إن من المراعاة المطلوبة مراعاة مشاعر أصحاب المهن النازلة، ومنهم المستخدمون، قال عليه الصلاة والسلام:

((إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمة أو لقمتين، فإنه ولي علاجه)) [رواه البخاري برقم (2370)] يعني: علاج الطعام في الطبخ، وفي رواية: ((فإنه ولي حره ودخانه)) [رواه البخاري برقم (5039)]، فهذا الطباخ وهذا الخادم الذي تولى صنع الطعام، وعالج إصلاحه، ربما تهفو نفسه إلى الأكل منه وتتوق إلى ذلك، فإن أمكن أن يجلسه معه على مائدة واحدة فذاك، وإلا فيقدم له منه مراعاة لحاله.

وحتى الذي يقام عليه الحد يراعى حاله، فقد جيء للنبي صلى الله عليه وسلم برجل سكير فأمر بجلده، -وهذا حد الله لا بد منه، ومعلوم ما في إقامة حدود الله من بركة عظيمة، ومجلبة للخير، وإن رغم أنف الحاقدين من

الغربيين والشرقيين- قال صلى الله عليه وسلم: ((حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمتطروا أربعين

صباحاً)) [رواه ابن ماجه برقم (2529)، قال الألباني: حسن لغيره "صحيح الترغيب والترهيب"]، لكن هذا الرجل الذي

جيء به لما قام بعض الصحابة لجلده قال: "أخزاه الله" [رواه البخاري برقم (6283)]، وفي حديث آخر: "لعنه الله،

ما أكثر ما يؤتى به..". [رواه البخاري برقم (6282)]، فنهاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك، وأخبر أن

الحدود كفارة لأهلها، فإذا كان الحد تطهيراً، فلماذا يسب الحدود ويشتم؟، وحتى في حديث جلد الأمة الزانية،

أمر بجلدها يعني: سيدها بجلدها، ولكن قال: ((ولا يثرب)) [رواه البخاري برقم (2008)، ومسلم برقم (3215)]

يعنى: لا يقرع ويوبخ.

ومن اللطائف التي ذكرها أهل العلم في قضية تعليل النهي في حديث: ((لا تسبوا الأموات))، ما أورده في علة

النهي من تكملة الرواية التي جاءت: ((فتؤذوا الأحياء))، [رواه الترمذي برقم (1905)، وصححه الألباني في صحيح

الجامع برقم (7312)]، فربما يكون الميت يستحق السب، لما فيه من البلايا والطامات، لكن ينبغي السكوت عن ذكر

مساوئه والنيل منه، وذلك لأنه قد أفضى إلى ربه، والله حسبيہ ويتولاه هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ لأجل قربه الحي ((لا تسبوا الأموات، فتؤذوا الأحياء)).

وانظر إلى مراعاة الشرع لمشاعر البنت أو المرأة عند الزواج، قال: ((لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن)). قالوا: يا رسول الله كيف إذنهما؟ [رواه البخاري برقم (4741) ومسلم برقم (2543)] كانت البكر لها حدر في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- وحتى في زمن العرب، وهذا الحدر داخل الغرفة، داخل البيت، فهي لا تخرج أصلاً، أو يقل خروجها، فلما قال لهم: ((لا تنكح البكر حتى تستأذن)). قالوا: يا رسول الله كيف إذنهما؟ هي غير متعودة على الكلام أبداً أمام الأجنبي، قال: ((أن تسكت))، فراعى حياءها، واكتفى بالسكوت في الموافقة، ولو أرادت الاعتراض لتكلمت، هذا من تربيتهم للبكر في ذلك الوقت.

وقد يتألم المسلم وهو يرى ماذا يحدث اليوم في مدارس البنات وفي الكليات من الجراءة على الله، وقلة الحياء!، وهذا بسبب الانفتاح الذي أضر بالدين والخلق، وأتى على الحشمة والعفاف فجرد بعض بناتنا منه، ولذلك لا بد من العودة بتربية البنات إلى نهج السلف الأول، وأن يكون هنالك صيانة بالغة للحياء، ومحافظة على عفاف بنات المسلمين، قبل أن ينخرط العقد، ويصعب الردم، ويتسع الخرق على الرقع.

### ملاحظة أحوال الناس في تطبيق السنن

وأيضاً فإن من المراعاة للمشاعر ما يكون من مراعاة المأمومين لحال إمامهم في عدم الاعتراض عليه إذا طبق بهم السنة، وقد لا يكون عند بعضهم علم بما، وهو عليه أن يراعى أحوالهم عند قيامه بأعمال الصلاة، وأحياناً تكون الموازنة فيها صعوبة، فمثلاً: يراعى حال الداخل وقت ركوعه فهو يطيل شيئاً ما ليدرك الداخل الركعة؛ مراعاة له، ولا يزيد في الإطالة؛ مراعاة لحال المأمومين.

وينبغي للإمام أيضاً أن يراعى في تطبيقه للسنة المأمومين؛ والبعض قد يطيل في موضع ليس من السنة الإطالة فيه أصلاً مثل أن يستمر في دعاء التراويح أكثر من أربعين دقيقة، ومعلوم أن هذا ليس من السنة في شيء، فلم يرد في السنة دعاء التراويح بهذا الطول، بل إن بعض أهل العلم لا يرى أصلاً الدعاء في كل ركعة وتر، وربما أرشد بعض أهل العلم إلى تركه أحياناً؛ قالوا: ليعلم الناس أن الدعاء في ركعة الوتر ليس واجباً.

قالت عجوز: صليت وراء إمام أطل في الدعاء جداً، فصار يدعو، وأنا أدعو أن يفرغ، بسبب المشقة الحاصلة. فالهم والخلاصة أن هذا الباب -وهو مراعاة أحوال الناس بعضهم لبعض- من الدين، ومن الخلق العظيم، فينبغي المحافظة على ذلك، وهو من كمال شريعتنا.

نسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا أجمعين من المغفور لهم، اللهم لا تفرق جمعنا هذا إلا بذنب مغفور، وعمل مبرور، وسعي مشكور، وتجارة لا تبور.

اللهم آمنا في الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا غفور.

اللهم إنا نسألك رحمة تلم بما شعنا، وتجمع بما على الحق كلمتنا، وتقضي بما ديوننا، وترحم بما موتانا، وتبرئ بما مرضانا، وتهدئ بما ضالنا، وترد بما غائبنا.

اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، ونسألك القصد في الغنى والفقر، ونسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.

اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اغفر لنا ولوالدينا وإخواننا وأخواتنا من المسلمين والمسلمات يا أرحم الراحمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.